ثقافة النشء
مسلمون أوائل
٧

عبد الودود الأمين

سيّدُ الأوس

سعد بن معاذ

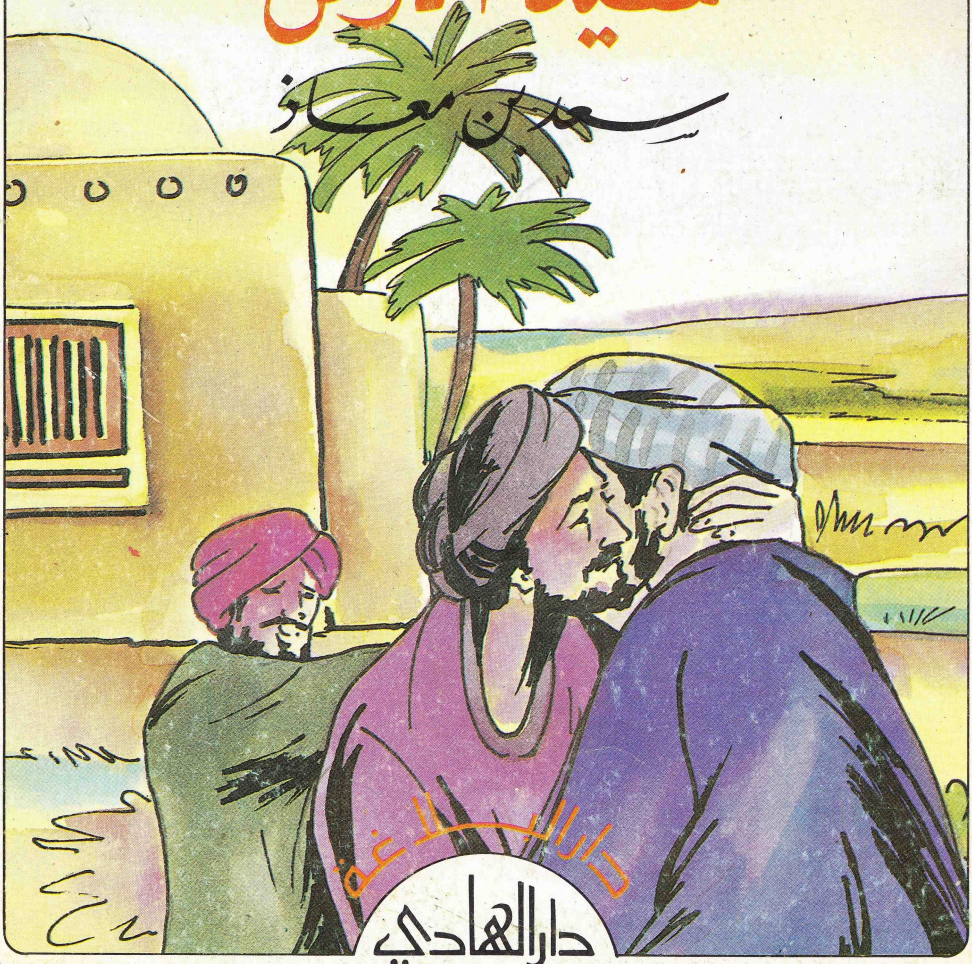

دار البلاغة
دار الهادي

PDF مكتبة نرجس
www.narjes-library.blogspot.com

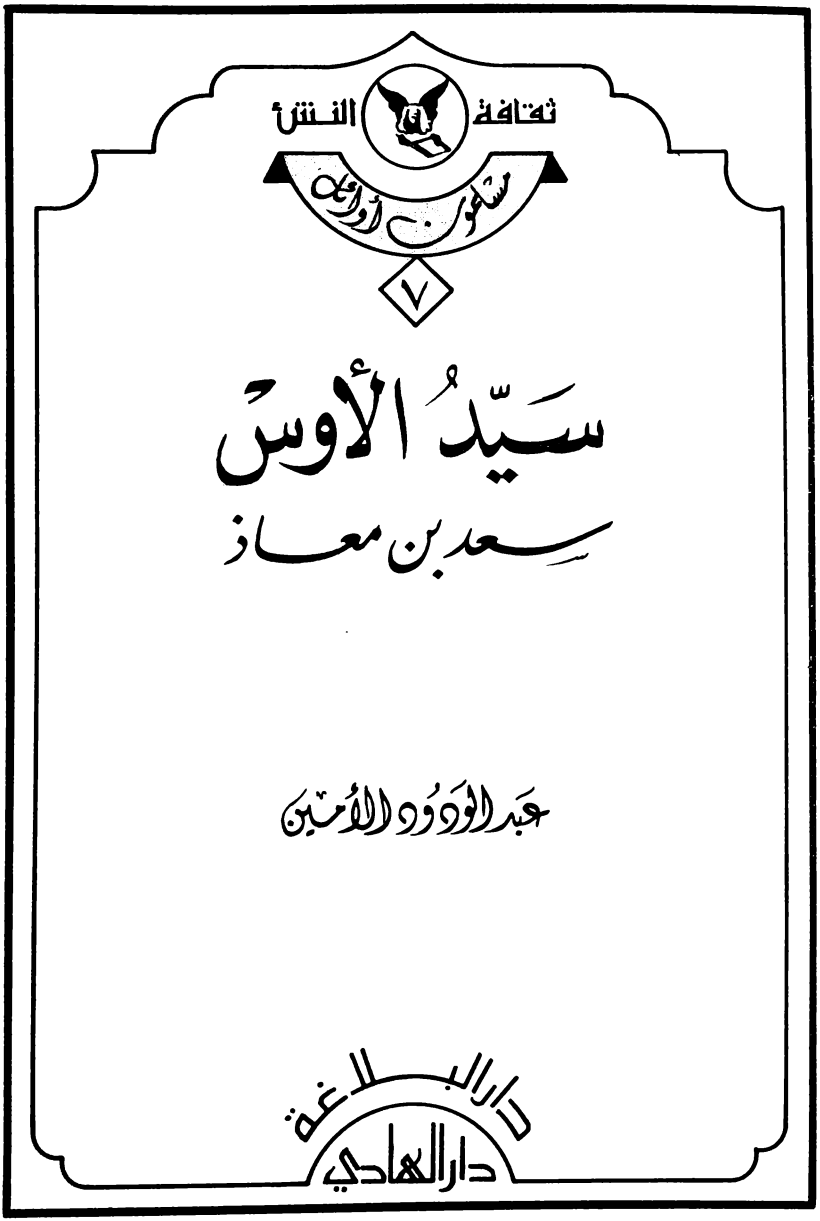

ثقافة النشء

مشاعل أوائل

٧

سَيّدُ الأوسْ

سعد بن معاذ

عبد الودود الأمين

دار البلاغة
دار الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار الهادي - دار البلاغة - للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥٠ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس: ٢٠٧٧٧ MCS - ٢٢٥٩٧ بلاغ.

ص.ب: ٢٨٦/٢٥ + ٢٥/١٦ غبيري - بيروت - لبنان.

رسوم: جمال درويش

كان سعدُ بن مُعاذ وأُسَيْد بن خضير زعيمي قبيلة الأوس ، وهي من أكبر قبائل المدينة المنورّة (يثرب) . وكانا صديقين حميمين . وبإسلامهما أسلمت قبيلة الأوس عن بكرة أبيها ؛ وكان هذا نصراً كبيراً للإسلام تمَّ على يدي مصعب بن عمير ، الذي أرسله النبي (ص) إلى المدينة ليدعو أهلها للإسلام . ولم يجد مصعب صعوبةً كبيرة في إقناع هذين الزعيمين فإضافةً إلى ما كان يمتلكه من قوّة الحجة والبيان والأسلوب العذب ، فان سعداً وأُسيداً عُرفا بمكارم الأخلاق ونبل الشيم وعلوّ الهمة ، والعدل والشهامة وحصافة العقل ورجحان الرؤية ، وغيرها من الصفات الحسنة التي جاء الإسلام

ليقرّها ويؤكد عليها . لذا ، سرعان ما شرح الله قلبيهما للإسلام وهداهما إلى سبيله القويم ، فأعلنا إسلامهما أمام قبيلة الأوس ، وطلبا منها أن تسلم ، ففي الإسلام كل الخير والسعادة والنجاة ، في الدنيا والآخرة . وبمجرد أن قال كل من سعد وأُسيد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، حتى رددت القبيلة شهادة الإسلام ، وردَّدت روابي المدينة وتخومها صدى هذه الكلمات العظيمة .

وحين علم يهودُ بني قريضة بإسلام سعد بن معاذ ، جُنَّ جنونُهم وطار صوابهم ، وخابت كل آمالهم . فهم يعدّون سعداً حليفهم ، وكانوا يتقرّبون إليه بالهدايا ، ويتزلّفون إليه بالمديح ، وهم يطمعون في أن يجعلوا منه سلطاناً حاكماً على المدينة ، ومن خلاله يستأثرون بكل خيراتها ويسيطرون عليها ، ولم تكن كل خيراتها لتكفي جشعهم .

وبذل اليهود كل ما في وسعهم ليوقعوا بين سعد

ودينه الجديد ، إلا أنه سفّه أحلامهم وصمد أمام إغرائهم فـطاش سهمهم ويئسـوا منـه . ونجت المـدينـة من مخططاتهم وخبثهم .

وبعد أن آمن سعد ، بدأت أيامه تعرف طعم السعادة والهناء ، وأخذ يسبح في نور الهدى والحق المبين ، وعرف قلبه البهجة والحب الحقيقي الذي منه ينطلق كل حب ، وهو حب الله .

وينتظر سعد موسم الحج المقبل بفارغ الصبر ، ليلقىٰ رسول الله ، في العقبة الثانية ، ويبايعه بيعة الإسلام ، ثم يعود إلى المدينة ، ويفتح داره لتكون من أهمّ مراكز الدعوة الإسلامية في المدينة .

ويحين موعد هجرة رسول الله إلى المدينة ؛ الأمر الذي يثلج صدر سعد فيعمل بجد واجتهاد لتهيئة المدينة ، لاستقبال رسول الله (ص) خير استقبال .

ويكون سعد على رأس مستقبلي رسول الله . وحين يقيم الرسول في المدينة ، يهنأ لسعد عيشه ، وكأنه حقّق كل آماله وأحلامه وطموحه . . كيف لا ، وهو يرى نفسه بقرب النبي الأمين يتعلم منه دروس الإسلام ، وينهل من خلقه وعلمه العظيمين ومن تربيته الصالحة .

وحين يعلم النبيّ أن قـريشـاً تجهـزت وأعلنت الحـرب على الله ورسـولـه ، يـطلب من المسلمين أن يتجهزوا للجهاد والدفاع عن دينهم . وهنا يتنصّل بعض الأنصار ، بحجة أنهم بايعوا الـرسول على الحـرب معه في الدفاع عن المدينة ، أما حرب قـريش فالمعني بهـا المهـاجـرون فقط ، فهم من أهـل مكـة ، وعليهم أن يحاربوا مشركيها .

إلا أن سعداً ينبري ، ويخطب في الأنصار ليحثهم على الحرب ويثير فيهم حماسة الجهاد والذود عن الدين ويقـود أهله وعشيرتـه ، من بني الأشهـل ، ويـطلب من صديقه أُسَيْـد بن خضير أن يحـذو حذوه فيفعـل ؛ الأمر الـذيّ جعل الأنصـار وبخـاصـة قبيلة الخـزرج تتحمس للحرب والجهاد أكثـر من قبيلة الأوس التي كان يقـودها سعد وأسيد .

وتكـون معـركـة « بـدر » أول معـركـة يخـوضهـا المسلمـون دفاعـاً عن دينهم . ويكـون للمسلمين ذلـك النصر العظيم الذي سحق الكفار وبهر عيون المشـركين جميعاً .

ووقعت بعدها معركة « أُحد » التي تحدث النـاس فيهـا عن بطولات سعـد بن معـاذ وصمـوده إلى جـانب النبي ، ذلك الصمود الرائع .

وفي معركة الخندق ، وأثناء حصار المشركين للمسلمين ، وبينما الأحزاب والمسلمون يتراشقون بالسهام ، أُصيب سعد بسهم أتاه من الأعداء فاخترق ذراعه ، وقطع شريانها ، وتفجَّر الدم منها كنافورة ، فأمر

رسـول الله أن يُحمَـل إلى المسجـد ، ليكـون بقـربـه ، ويتمكن من الإشراف على تمريضه .

وفي المسجد ، كان سعد يدعو الله أن يشفيه ليعود لقتال المشركين ، وبخاصة اليهـود الذين نكثـوا عهدهم لرسول الله ، وانحازوا إلى الأحزاب إلاَّ أن حالته كـانت تسوء، يوماً بعد يوم ، ومرضه يشتد عليه . . . .

ثم تمَّ الإنتصار للمسلمين في معركة الخندق ، وفرح سعد بذلك فرحاً كبيراً ؛ الأمر الذي أنساه آلامه الهائلة التي كان يعاني منها ، بسبب اشتداد المرض عليه .

وبعد الانتصار في معركة الخندق ، توجّه المسلمون إلى حصون بني قُريضة من اليهود ليضعوا حدّاً لكل الدسائس والمؤامرات التي كان يعدّها اليهود لتحطيم الإسلام .

وخاف يهود بني قُريضة أشد الخوف ، وتقدموا من رسول الله برجاء ، وهم يعلمون أكثر من غيرهم رحمته وعظيم خلقه ، وقالوا له : نريد أن تُحَكِّم فينا سعد بن معاذ وما يحكمه سعد نقبل به . . . .

وكانت تلك خطة دهاء ومراوغة ، ظناً منهم أن سعداً سوف يخفف الحكم عليهم ، لما لهم معه من صداقة في الجاهلية . ولم يعلموا أن المرء ، حين يدخل الإسلام ، يكون دينه وإيمانه فوق كل الإعتبارات ، وفوق الأخوّة والأبوّة ، فضلاً عن الصداقة .

وأمر رسول الله بحمل سعد واحضاره إلى ساحة المعركة .

ولما حضر سعد ، محمولاً ، والمرض يضغط عليه ، قال له رسول الله :

ـ « يا سعد بن معاذ . . أحكم في بني قُريضة . . » .

ولم يطل تفكير سعد ، وقد شكر الله لاستجابة دعوته وتمكينه من أعداء الإسلام ، فقال :

ـ إني أرىٰ ، يا رسول الله ، أن يُقتَل مقاتلوهم ، وتُسبىٰ ذراريهم (نساؤهم) ، وتُقسم أموالهم غنيمة بين المسلمين .

وخابت آمال اليهود ، ورُدَّ كيدهم إلى نحورهم . وانتصر المسلمون عليهم ، ونفّذوا حكم سعد ، ونظر رسول الله (ص) إلى سعد ، وقال :

ـ « لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله من فوق السمٰوات السبع والعرش ، يا سعد . . » .

واطمأنت نفس سعد لكلمة رسول الله ، ولاستجابة دعائه ، إذ مكَّنه من اليهود ، وشفىٰ غليله منهم .

وبعد أيام قلائل ، سلَّم الروح إلى بارئها ، ورأسه في حِجر رسول الله ، وهو يدعو له ، ويقول :

ـ « هنيئاً لك يا أبا عمرو . . . » .